

الثنائيات اللسانية في الاخبار في ضوء التحليل السيميائي

د. محمد رضا مبارك

كلية الاعلام - جامعة بغداد

مستخلص :

نشير في هذا البحث الى الثنائيات اللسانية ، ومحاولة تقريبها من تحليل سيميائي للأخبار .. من المعروف ان هناك فرعا في اللسانيات يطلق عليه اللسانيات الاجتماعية ، وتنقسم الى اللسانيات التواصلية والإعلامية .

ولعل هذا خير مسوغ لادراج منهج جديد في الدراسات الاعلامية ، هو التحليل السيميائي للأخبار .

لقد تحولت دراسات الخطاب واللغة والتواصل وعلاقة ذلك بفروع المعرفة المختلفة ، الى مشاريع بحثية عديدة ، وما عاد يكتفى بالمناهج القديمة ، فسرعة التحول في الفكر ، المتناسب مع ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال ، ل، فرضت واقعها على العالم بأسره ، والبحوث هي اول من تأثر بهذا المنزع الانساني الهائل.

ومازال السيميائيون يبتعدون عن تحليل المادة الاعلامية المكتوبة ، ويقصرون بحوثهم على النصوص الشعرية والسردية ، وقد حاولنا في هذا البحث ايجاد مقاربة بين الأثنين لاختراع بعض النصوص غير الأدبية للتحليل السيميائي ، وقد وجدنا ما يدعم ذلك في الفكر اللساني والسيميائي كما سنرى.

لقد تطرقنا الى انواع من الثنائيات اللسانية وميزناها عن الثنائيات الفلسفية المعروفة ، مثل المادة والروح ، الوجود والعدم .

لان الثنائيات اللغوية لها معمارها الفكري الخاص ، المنطلق من فلسفة الواقع ، بعيدا عن التصورات المتمايزيقية ، التي طبعت ثنائيات الفلسفة ، واذا كان الوجود مكونا

من ثنائيات عدة ، فان اللغة تتحدد بثنائيات عدة هي الاخرى ، ونشير فقط الى ثنائيات ياكوبسن في الاستعارة والكناية ، وكذلك ثنائيات تشومسكي في البنية السطحية والبنية العميقة للغة .

درسنا في اطار ذلك خبرين ، اخترناهما من الصحافة المحلية

احدهما يتعلق بقضايا فساد

والاخر يتعلق بالحرب الدائرة ضد داعش .

والمعروف ان المقاربة السيميائية التي افترضناها ، تقوم على اساس التناقض ، وهو الاساس الذي قام عليه ، مربع غريماس السيميائي ، والتناقض لا يقوم الا على مفهومين او لفظين ، ينفي احدهما الاخر ، واذ لم نطبق المربع الغريماسي بكل تفاصيله ، فان الاشارات التي وردت في البحث ، هي من تفرعات هذا المربع ، الذي بقي اساسا مهما من اساس قراءة النصوص .

تحدث الكثيرون عن ان القصة الخبرية ، هي اكثر طواعية للتحليل اللساني والسيميائي ، فان تحليل الاخبار ، بدا ممكنا ولاسيما بعض الاخبار ذات الصياغة الطويلة ، والتي قد تبدو متضادة او متناقضة .

واقصرنا في الخبر الثاني على عنوان الخبر ، بصفته عتبة نصية ، مع اختلاف بين العنوان في الصحافة والعنوان في الادب .

واذ استعملنا المنهج السيميائي ، فان التجريب ومحاولة تقريب المنهج ، لا تخلو من اشكالات ، ربما يدركها القارئ حين الانتهاء من قراءة البحث .. ان التجريب اذا كان بأدوات محكمة لا يخرج عن المنهج العلمي .

Linguistic diodes in the news**In light of semiotic analysis****Dr... Mohammad Reza Mubarak****Faculty of Information - University of Baghdad**

We refer in this research into linguistic binaries, try rounding of simiaei news analysis. It is known that there are branches of Linguistics called social Linguistics, divided into communicative Linguistics and media. Perhaps the best justification for the inclusion of a new curriculum in media studies, is semiotic analysis of the news. I've turned the speech, language and communication studies in relation to different disciplines, many research projects, and returned only old curriculum, speed shift in thought, proportional to the revolution in information and communication technology, for reality imposed on the entire world, research are the first affected by this enormous humanitarian almenza. Alsimiaaeon still shy away from analyzing written material, and fail their poetic and narrative texts, in this research we have tried to find an approach between the two to subdue some non-literary texts of semiotic analysis, we have found support in the thought of tongue walsimiaei as we will see.

We discussed the types of linguistic binaries and we tag them on philosophical binaries, such as art and soul, being and nothingness. Because of her linguistic intellectual architecture binaries, spirit of the philosophy of reality, away from almtiaviziket perceptions, which printed binaries philosophy, if existence consisted of several binaries, the language is determined by several pairs, and we refer only to metaphor and metonymy Jakobsen binaries, as well as surface structure and Chomsky binaries deep structure of language. We examined the two pieces, we chose them from the local press, one on corruption cases, and the other about the war against the Islamic State. It is known that the presumed majority semiotics approach, based on contradiction, and is the basis of semiotic Greimas box, the contrast is not based only on two concepts or rude, mutually exclusive, and not tolerate algharimasi box with all its details, references in research are branching this box, which remained an important basis of the foundations of reading the tex

١ - غدت المناهج اللسانية فروضا في الدراسات كافة ، ولاسيما الانسانية ومنها بحوث الاعلام ، والمطلع على ما احدثته ، منذ بداية القرن الماضي ، يمكن ان يتلمس منها قارا ، يدخل في اطاره علم النفس الاجتماعي ، وعلوم اللغة والتاريخ والاعلام .. وهذا يعني ان هذه المناهج يمكن ان تسهم في ايجاد نزوع جديد نحو الدقة والشمول ، فهي محددة في حدود اللغة ، وامكاناتها الواسعة ، فهي الاصل لكل فهم وافهام ، واصل لكل شرح وتفسير ، واذ تظلع الصورة الان بأهمية خاصة في اطار علوم العصر ، وعلوم الاعلام بخاصة ، فان ذلك لم يقلل من اهمية اللسانيات ، لان الصورة تدخل في اطار المنهج السيميائي ، الذي يأخذ مزياه من اللسانيات ، على وفق الرأي الذي نرجحه .

واذ يتوسع التعبير بالكلمات ، فان التعبير بالاشارة غير اللغوية ، يتوسع ايضا ، فهو لا يقتصر على الصورة او اللون ، بل قد يتسع لآماد واسعة ، فيشمل الصمت الذي هو الاخر نوع من الافهام .

لقد حصل تغيير كبير في مناهج التفكير ، منذ ان اخذت اللسانيات تدخل في صلب العمل المنهج ، و تغيرت اطر الوعي الانساني وتغيرت معها اطر التفكير ، ما عاد الانسان يقبل الطروحات الجاهزة ، او محاولات الاقناع التي تلجأ اليها وسائل الاعلام عادة ، ففي العصر اللساني تغير مفهوم الاقناع ، واصبح الحجاج بديلا عنه ، فالإقناع يكرس الاستبداد في كثير من الاحيان ، والذاكرة العربية مليئة بالإقناع الذي يؤدي الى التريدي العقلي والفكري او الثبات على قناعات معينة ، والذي يترجم بالسلوك الذي يتحول عن طريق الاقناع السلبي ، الى فعل مدمر للذات والحضارة .

أين يقف الاعلام من محاولة الاسهام بتغيير العقل ، وكيف يمكن ادامة نزوع معرفي جديد ، لا يلغي الثوابت ضرورة ، بل يفرض ثوابته الجديدة ، انطلاقا من ثنائيات الثابت والمتحول ، وحين يلغى المتحول في اطار الثابت ، نصبح كمن نقف ضد الحياة وحكمتها الابدية التي عرفت منذ فلاسفة اليونان الى هذا اليوم . من اشد المسائل صعوبة دراسة الوعي ومحاولة تطويره عن طريق الاعلام ، انطلاقا من تخيل وجود اعلام يصنع العقل ولا يدمره ، وهي مهمة ربما لا يستطيع مفهوم الاعلام الاجابة عنها ، ولكن لا مناص من ذلك ، ان الصياغات اللسانية ولاسيما في الاخبار ، يقف اسهامها في كشف الوعي ، وليس المقصود من الوعي هو ذلك الذي يدفع الجماهير الى التظاهر ، وهو وان كان واحدا من وجوه الوعي ، غير انه عند العرب في غالب الاحيان لا يؤدي الى نتائج تخدم البلدان ، بل ربما تكون سببا في تعقيد المشاكل ودفعها باتجاهات خطيرة ، بسبب ان المحرك غالبا ما يكون قائدا سياسيا او دينيا ، تسير بإيعازه الجماهير .. وفي الحالة العربية ربما اخلت الزعامات السياسية مكانها للزعامات الدينية .. فالعواطف تحرك الناس ، والمعروف ان

التفكير المنطقي كثيرا ما يواجه المقاومة ، بينما الانفعالات تحرك المجاميع . ونذكر بخروج طلاب جامعة باريس ، في تظاهرات احتجاجا على الاهتمام المفرط بالبنوية ، وهي منهج فكري .. لقد تظاهروا ضد النسق وسجن النص في بنية مغلقة عام ١٩٦٨ ، ولكن هذا نادر في بيئتنا العربية ، اذ ان الجماهير غالبا ما ترتبط بفكرة العقل الجمعي **Mass audience** التي اشار اليها دوركايم ، واعتنى به قبلا (هيغل) الذي اسماه العقل الموضوعي ، وهو يفترض ان الانسان لا يولد الا في اطار عقلي عام ، يستمد منه انماطه السلوكية والثقافية واساليبه الفكرية . نقف عند هذه النقطة المهمة وهي ان الوعي المطلوب سيؤدي الى سلوك فردي وهو المهم قبل السلوك الجماعي الذي يصعب تحصيله ، وهو ما تسعى اليه وسائل الاعلام ذات الاهداف الانسانية والحضارية .

٢- الثنائيات اللسانية :

عرفت معظم العلوم الثنائيات باشكال مختلفة , ولا سيما الفلسفة.. «اذ ان اهم ما تقول به الثنائية ان الواقع يتألف من كيانين او جوهرين , او مبدئين نهائيين , لا يردان الى غيرهما , ويختلف المفكرون في طريقة تصورهم للتقابل بين هذين العنصرين النهائيين , وان كانوا في معظم الأحيان يسمونها بالذهن والمادة او الروح والمادة , وفيما يتعلق بالطبيعة البشرية يؤكد المذهب الثنائي , التضاد بين الجسم والنفس او البدن والروح وقد يتحدث الفيلسوف الثنائي احيانا عن وجود مادي في مقابل الوجود الذهني , فافلاطون مثلا قد وضع تقابلا بين العالم المحسوس , والعالم المعقول , اما الثنائيون اليوم فيفضلون الكلام عن العالم المادي في مقابل العالم الروحي , ولكن ايا كانت طبيعة هذا التقابل , سواء اكانت تعبر عن اسماء او صفات , فان وجهة النظر العامة تظل واحدة .. فهناك نوعان من الوجود , ينفصل كل منهما تماما عن الآخر , والواقع ان لفظ الثنائية يشرح نفسه بنفسه , على شرط ان ننظر اليه في مفهومه الميتافيزيقي على انه يدل على انقسام اساسي في داخل الوجود » ١ وفضلا على الثنائيات الفلسفية , فان الثنائيات الأدبية راسخة في عالم النقد والأدب ولعلها مستمدة من مجمل الأطار اللساني « ان تفكير باختين في اللغة والأدب ثنائي اساسا , اي انه يتعامل وفق منطق زوجي : حديث ذاتي (مونولوج) / حوار (ديالوج) - شعر نثر وهكذا . والواقع ان هذا الأسلوب في التفكير من سمات وخصائص مجمل الموروث البنيوي من سوسير فصاعدا , ولا يستطيع المرء هنا الا ان يتذكر ثنائية سوسير في اللغة - الكلام , وثنائية ياكوبسن في الاستعارة - الكناية , وثنائية بارت في القرآني - الكتابي وغير ذلك . على اي حال نلاحظ ان التضاد الثنائي يميل الى ان يصبح هرميا , اي ان يتفوق احد المصطلحين على الاخر , ويبدو في بعض الاحيان هذا الميل اسلوبا صريحا , يتم تبنيه واستخدامه لأغراض جدلية كما هو الامر عند بارت , إلا ان

القدرة التفسيرية تضعف عندما يتحول التضاد الثنائي الى هرم والقوة التفسيرية ازاء الموضوع تغدو ناجحة في تدمير هرمها وذلك عندما تكشف قابلية تحول نص قرآني الى اخر كتابي على يد ناقد ذكي ، وغالبا ما يبنهنا ياكوبسن الى الانحياز الموروث في البويطيقا والنقد الادبي الى الاستعارة اكثر من الكناية ، وينعكس هذا الانحياز في اهمال البويطيقا وعلم الاسلوب الادبي ، الرواية الواقعية اهمالا نسبيا حتى وقت قريب . ولعل قائل يقول ان باختين نفسه بدا اولا بطرح السؤال عن امتياز اللغة وتفوقها على الكلام في لسانيات سوسير» ٢ .

اعتبرت اللسانيات مفتاح العلوم كافة ، ولاسيما العلوم الانسانية ، وبدأ الاشتغال على هذا النحو منذ بدايات القرن الماضي ، فقد تنبأ رواد النبوية ، ومنهم كلود ليفي شتراوس ، وهو صاحب الانثروبولوجيا النبوية ، بأن العصر الحالي الذي نعيشه هو العصر اللساني ، وان غيرت السيميائية بعض هذا الرأي القاطع ، إلا ان السيميائيات على الرأي الراجح تندرج تحت اللسانيات .. في هذه المحاولة البحثية نحاول ان نقارب بين ثنائيتين شهيرتين تجتاحان الاعلام وتشكلان موضوعا ازليا لكثير من الكتابات الصحفية والإعلامية ، وهما ثنائيتا الاصلاح والفساد ، وجريا على الثنائيات الضدية التي اظهرها دوسوسير ، فان هذا البحث يقع في اطار هذه الثنائيات وان لم يشملها جميعا ، ومن اهم هذه الثنائيات ، ثنائية اللغة والكلام والعمودي والأفقي ، و التزمّن والتزامن ، اوالسايكروني والدايكروني ، وثنائية الدال والمدلول ، والحضور والغياب ... وقد اخترنا بعضا منها لتكون اطارا منهجيا لهذا البحث مسلطين الضوء على ما كتبه الصحافة منذ عام ٢٠١١ حول قضية من قضايا الفساد تتعلق بالبنك المركزي ، وقد اخترنا هذه الجزئية لتكون الدراسة اكثر دقة وشمولا ، ويمكن ان تكون نموذجا للتعميم على قضايا اخرى ، تعنى بها الصحافة . لعل الفساد من اكثر المشكلات صعوبة التي تواجهها المجتمعات عامة، غير ان الاختلاف بينها في الدرجة وليس في النوع ، فكل اشكال الفساد ، ولاسيما المالي توجد في هذا البلد او ذاك ، الا ان درجته مختلفة من بلد الى اخر ، وقد وجد هذا الفساد في العراق بشكل واسع بعد انحلال مؤسسات الدولة وضعفها ، ان وجود المال وبلا حماية قانونية منضبطة ، وكذلك الفوضى العامة ، اغرى الكثيرين بالدخول الى هذا النشاط المهدم للبنية الاخلاقية في المجتمع ، قبل البنية الاقتصادية ، على الرغم من اهمية الأقتصاد القارة في وجود المجتمعات وانتظام حياتها . ان افضل طريقة لتناول الفساد في العراق ودور الاعلام في مكافحته ، مقارنة لدراسات النصية ، اقصدا لدراسات اللغة واللسانيات ، اذ عرفت هذه الفروع انها اكثر ارتباطا بالمجتمع ، وان قدرتها على التوصل الى حل للمشكلات هو من تناولها لأهم صفة من صفات الكائن البشري وهو اللغة ، لذا عملنا على التقريب بين الدراسات النصية

وثنائية الفساد والإصلاح ، اذ ان اللغة تدخل في الاثنيين محركة لهما ، وقد نستعير في ذلك منهج البنيويين الذين درسوا المجتمعات البدائية انطلاقا من منهج دوسوسير ، وهؤلاء قد اعتبروا من اكثر البنيويين نجاحا ، حين استعملوا حقل اللغة في علم الاناسة . وبما ان بعض الدراسات الحديثة ، تقوم على اساس الثنائيات التي اشرنا اليها ، التقطنا احدى هذه الثنائيات وهي ثنائية الحضور والغياب ، التي نأمل ان يتوسع فيها البحث فيما بعد ، غير ان ثنائية الحضور والغياب هي ثنائية نصية ، النص الغائب والنص الحاضر ، وقد يكون النص الغائب اكثر دلالة من النص الحاضر ، وبعيدا عن الفهم البنيوي للحضور والغياب والذي هو قضية فلسفية في الفكر المعاصر ومن اجل تطويع هذا الفهم لدراستنا ، فقد اقتصرنا على واحدة من هذه الثنائيات ، الحضور النصي ، والغياب النصي وهي ثنائية رئيسية في البحث ، تتفرع الى ثنائيات أخرى ثانوية ، ووجدناها صالحة لتطبيقها على ظواهرنا المعاصرة ، هي محاولة للخروج من اسر المعالجات التقليدية .

٣ - التغييب والغياب في اطار الحضور والغياب

في الاشتقاق اللغوي ، المصادر تدل على الحدث اما الاسماء فتدل على الثبوت في الإطار العام للاستعمال اللغوي وثنائية التغييب والغياب نابعة من الاشتقاق من المصدر على رأي المدرسة البصرية او من الفعل على رأي المدرسة الكوفية ، ان التغييب عملية قصدية وهي موجودة في النصوص الاعلامية وغير الاعلامية ، غير ان وجودها في النص الاعلامي اكثر تأثيرا سواء في اللغة او الصورة ، ولن اتناول هنا اساليب التغييب التي تدخل في اطار صناعة الكلام وعلاقة ذلك بعلم النفس الاجتماعي وبعلم الاجتماع ، فالتغييب حدث او صناعة كما يدل على ذلك المصدر واذا كان حدثا فمن الممكن صناعته او ايجاده ، ومن الممكن تغييره لذا نستعمل هذا المصدر في الاطار المحدد لهذا البحث ، اذ المعروف ان جهات الفساد لها جذور ممتدة في اكثر من اتجاه وهي تعمل بما امتلكته من قدرة مالية وخبرة على تجديد فعلها ، عن طريق تغييب الوعي ، وقد تسهم وسائل الاعلام في هذا التغييب عن قصد او غير قصد ، وغالبا ما ينجح صانعو الفساد في خلق الحدث في ذاكرة الناس ، فاذا نجحوا في ذلك فان التغييب يقود حتما الى الغياب .. والغياب اسم والاسم من اهم صفاته الثبات في المعنى العام الا اذا كان هناك دليل سياقي يثبت غير ذلك والسياق عادة هو الذي يحدد المعنى الدقيق. ان غياب الذات يتساقط عمليا مع الغاء الذات وهنا نتحدث عن مصطلحين التقطناهما من عمق اللغة البسيطة لتعادل بهما وضعا مأساويا في فعله وتأثيراته ثم الاجراءات المتبعة فيه ، وسنلاحظ ان المقابلة بين التغييب والغياب سيكون ملمحا مهما من ملامح ما يأتي :

١- ٣ ثنائية المثالي والواقعي

لاشك في ان المثالي يثوي في عمق الواقعي ، وقد تفارقنا الدقة العلمية حين ناتي بلفظين عائمين موجودين في الحياة المعاشة كثيرا ، لكن غير مدل عليهما اكاديما اذ ان السؤال سيكون ما المثال وما الواقع ؟ وان الفصل بينهما لا يكون الاتعسفا ، ومن اجل التخلص من بعض الحرج المعرفي في هذا الموضوع ، نذكر رأي افلاطون (المثالي والواقعي) حين يحدد في جمهوريته الشهيرة مزايا الحكام .

اذ يخلص الى ان الحكام لا يكونون الا من الفلاسفة لكنه لم يترك الحبل على غاربه كما يقول القدماء ، بل حدد المجال الاقتصادي ليكون الحديث فيه اكثر وضوحا حين قال : "يجب ان لا يملك الحكام ملكا خاصا ، لا بيوتا ، ولا عقارا ، ولا شئا اخر ، بل يتناولون نفقاتهم من الاهالي جزاء عملهم ، فينفقون مشتركا ، اذا ارادوا ان يكونوا حكاما حقيقيين ٣ ، ففي الجمهورية وصايا للحكام الفلاسفة وهم الطبقة العليا ان لا يملكو شيئا لان الملكية للحاكم قد تكون بابا من ابواب الفساد ، وقبل افلاطون كان الملك البابلي حمورابي في رسائله الكثيرة ، يشير الى التخطيط الاقتصادي في المفهوم الاوسع وهذا ما كان يسمى احيانا (قطاع الدولة) لاقتصاد العصر البابلي القديم ... وفي رسائله الى عمالة يقول : "يجب ان ينظف من الطين نهر الفرات بين لارسا واور ، وكان نفس الشيء يجب ان يحدث مع القناة المؤدية الى الوركاء « ٤ ، وهي اشارة الى النظام الاقتصادي فالفساد هو تعرية الوجود من النظم ، وقد عيب على شوبنهاور مرة ان يمالئ النظم الاستبدادية فهو لا يريد ان يرى شيئا خارج النظام ٥ ، هنا يلتقي المثالي بالواقعي ، وان كانت نظرية افلاطون في املاك الحكام لم تنفذ او لا يمكن تنفيذها إلا في المدن الفاضلة ، ولكنها تمنح المتطلع الى العدالة وسلامة البلدان شيئا من هدي الطريق .

المثالي يقف خلف نظام الاشياء

الواقعي يقف خلف نظام الاشياء

والحق ان ثنائية الواقعي والمثالي قد يتسرب اليها الشك ، فالمثالي هو الواقعي ، إلا في المجتمعات التي تشط احيانا لتجد نفسها خارج الفهم الانساني ، وفي هذا الاطار فان تشريع القوانين هو ممارسة مثالية وواقعية في ان واحد ، ويمكن ان تكون سببا في اذكاء الفساد ، خارج النظام المعرفي الذي حددنا ابعاده تاريخيا في قطبين مهمين هما حمورابي وافلاطون .. غير ان النخب السياسية في العراق وضعت لنفسها قوانين ، لما تزل سارية الى اليوم ، وفي مبادئ التشريع لا يحبذ ان يصوغ المرء قانونا لنفسه ، حتى لو كان هو صاحب سلطة تشريعية ، فقانون مجلس النواب العراقي وضع من الدورة الاولى وكان ينص على تحديد ما يستحقه عضو مجلس النواب .. حقوقه وامتيازاته الكثيرة . كانت

الشرعية القانونية اذا وجها من وجوه الفساد بل هي التي اوجدت منذ البدء منطلقا عمليا لممارسته على نطاق واسع. ان الجهات الاعلامية ليس من واجبها التقريب بين ما هو واقعي و ما هو مثالي بل واجبها تقصير المسافة بين الاثنين لان مفهوم المواطنة اصلا هو مفهوم مثالي على الرغم من واقعيته الشديدة «فالمواطنة ضمن الفلسفة السياسية لا تشير الى وضع قانوني فحسب ، بل تشير ايضا الى مثال معياري ، اي يجب مشاركة المحكومين مشاركة كاملة ومتساوية في العملية السياسية»^٦ .

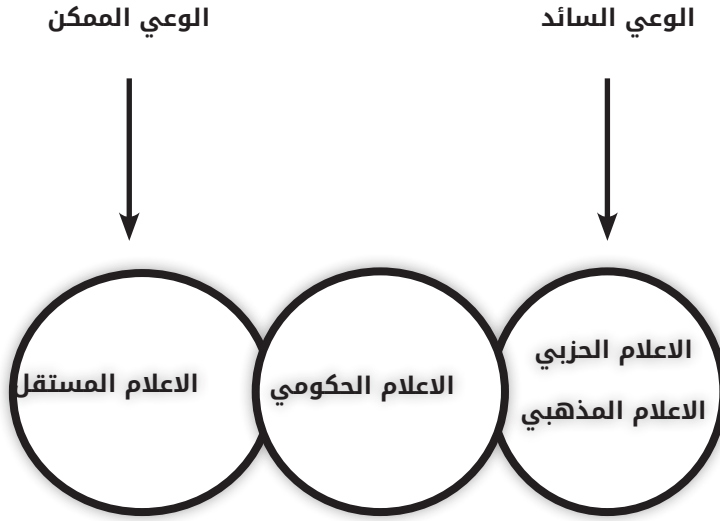
لكن تظل هذه المشاركة لا قيمة لها ان لم تتدخل وسائل الاعلام ، والمشاركة في معناها الاساسي لتصحيح المسار.. فاين المثال واين الواقع في هذه الثنائية ولعلنا نركز هنا على اهم وظائف الاتصال تاركين الوظائف الاخرى وهي كثيرة» فاهم وظائف الاتصال التنشئة الاجتماعية التي توفر رصيذا مشتركا من المعارف ليتمكن الناس من العمل بفعالية في المجتمعات التي يعيشون فيها فيتآزرون واعين مشاكلهم بما يحقق مشاركتهم في الحياة العامة»^٧ . ولكن كيف..؟ لابد ان ياتي ذلك خارج الثنائية ، فالمثال يبقى مثلا واقعا وان تدرج تطبيقه او الاخذ ببعض مواضعه .

٣-٢ ثنائية الوعي السائد والوعي الممكن

اثيرت هذه الثنائية في الفكر الغربي تحديدا في البنيوية التكوينية (لوسيان كولدمان) ، ولعل المعارف جميعا تنزع الى الصعود من الوعي السائد الى الوعي الممكن في اطار حقل جدلي ، اي ان الافكار تتصارع بين فكرة جديدة وفكرة قديمة والفكرة الجديدة تصبح قديمة فيما بعد ، وعلى هذا النحو تتحدد مسارات الفكر على ما هو معروف في الجدل الهيجلي . بعض الادبيات تحدد الوعي بالاتي (awareness conscience) ادراك الفرد لما يحيط به ادراكا مباشرا ، وينطوي الوعي في الاعلام على وقوف الفرد على الفكرة الجديدة اول مرة وشعوره بحاجة شديدة الى مزيد من المعلومات عنها»^٨ .

هذا الفهم لايرقى الى مستوى طموح وسائل الاعلام في تغيير الوعي السائد ، وان كان التعريف السابق يشير من طرف خفي الى الوعي الممكن .. لاشك في ان المشكلات الكبرى في بناء المجتمعات ترتبط بالوعي السائد وليس بالوعي الممكن ، وقضية الفساد ترتبط به ايضا ، لان الوعي الممكن هو الناهز الى التغيير ولإيجاد بدائل لحالة الاستسلام المجتمعي للفساد فلا بد من توضيح هذه الثنائية في اطار الفاعلية الاعلامية ويمكن توضيح ذلك في هذا المخطط :

مستويات الوعي



واذا ربطنا ذلك بالفساد وطرق مكافحته فانه يكون وضعا يتجاوز كما يقال عادة في الكتب القديمة.. وكثير من الدارسين يشيرون الى الاعلام المستقل بانه يتمثل في عدد من الجرائد والمجلات ومحطات البث الاذاعي والتلفزيوني وتعدد ملكيتها لصحفيين او لمؤسسات اعلامية ٩ ، ولا حاجة ثمة الى تعريف الأعلام المستقل . واذا يشك الكثيرون في وجود هذا الأعلام بسبب طبيعة الاعلام نفسه وكذلك الافراد والمؤسسات التي تمتلك الوسائل الاعلامية ، فان الاعلام المستقل فرضية نفترضها وان لم يكن لها وجود في عالمنا العربي وفي العالم اجمع على الاغلب ، وقد يكون الاعلام غير المستقل من اكثر الوسائل الاعلامية دفعا باتجاه الوعي السائد اي ابقاء الامر على حاله وتشويش الرؤية السياسية والثقافية لاهداف ترتبط بالممول. ويرتبط بالثنائية السابقة ثنائية اخرى لا تقل عنها اهمية ، وهي تلقي الى حد كبير بثنائية الوعي السائد والوعي الممكن

٤ - ثنائية العقل والارادة

الحق ان الاطراف في تماس فالمثالي يلتقي بالواقعي والعقل يرتبط بالارادة والظاهر يلتقي بالمتخفي ، فاعلاء الذاتية المفرط عند بعض المفكرين لايلغي موضوعيتهم ولعلنا نجد الموضوعية في قلب الذاتية ١٠ ، وهي ليست كذلك بسبب طبيعة التوجه الاعلامي الحزبي والديني الذي تنفصل فيه العاطفة عن العقل وكذلك مخاطبة العاطفة قبل العقل ، القلب قبل التفكير ، ولعل هذا يفسر ثبات معالجات الفساد دون تغيير منذ ان تفجرت قضاياها قبل اعوام الى هذا اليوم ، ان الوعي السائد يرتبط بالارادة والتي هي مجموعة من التصورات العاطفية والدينية ايضا ولعل جزءا من توجه وسائل الاعلام هو تغييب قضية الفساد لصالح قضايا اخرى ، .. عند شوبن هاور العقل لا يكمل الارادة فالارادة شئ والعقل شئ اخر ،وهي مفارقة كبيرة مع العلم انه هو صاحب فكرة الأطراف في تماس.. وعادة فان الاعلام السائد اليوم يلتقي من غير قصد مع هذا الرأي ولا يراعى الفرق بينهما وغالبا ما نلجأ الى الارادة ونبعد عن العقل.. والجماهير التي تثور عادة تنطلق من الارادة وليس من العقل في مفهوم فلسفة القرن التاسع عشر التي كان شوبنهاور ممثلا لها ،،، ينظرون او ينظر الى العقل بالمنظار القديم المعروف اي ان الارادة في القلب والعقل في المخ وبعيدا عن هذا التفصيل فان الحضور والغياب وهو الثنائية الرئيسية في هذا البحث يلتقيان مع العقل والارادة ، فالحضور يقترب من العقل والغياب يقترب من الارادة ولا يعني هذا ابعاد الارادة الكلية عن النشاط الانساني ولكن تغليب الارادة هو الذي يخلق الوعي السائد او الوعي التقليدي الذي يعيد انتاج الاشياء ولا يقدم حلولا جدية للمشاكل العالقة ولاسيما مشكلة الفساد .

الخفاء والتجلي في الأخبار

لعل هذه الثنائية اكثر ارتباطا بالحضور والغياب فالتجلي يرتبط بالحضور والخفاء بالغياب ، وهي ثنائية مستعادة من الادب واللغة غير انها صالحة كالثنائيات السابقة لحوار متعال وعميق في قضايا الاعلام ولا بد ان نذكر هنا ان عصر ما بعد الحداثة او ما بعد النبوية هو عصر التماهي في العلوم ولاسيما ان اللسانيات هي الاطار العلمي لهذا التقارب ، فلم تعد علوم الاتصال بمنأى عن هذا التداخل المعرفي . ولا بد ان نشير الى ان صناعة الوعي هو من تكامل مؤسسات المجتمع ولبس من مهمة الاعلام فقط ولكن وفي اطار الفوضى في العراق ، وحرص قطاعات واسعة من السياسيين على استمرارها ، اصبح الاعلام كأنه يصنع الفوضى ، بسبب الزعامات التي تمتلك وسائله وتستعمل هذه

الوسائل في الصراعات , ولذلك تدخل القضايا الكبرى في ملعب الصراعات البينية التي هي مظهر من ثنائية الخفاء والتجلي, الجماهير في الحالة العربية والعراقية لا تفعل شيئاً باتجاه المستقبل والنهوض المجتمعي ثقافياً واقتصادياً ,فهي تتحرك في اطار الوعي السائد الذي يعيد انتاج الأزمات ولا يساهم في حلها , فضلاً عن ارتهائها لارادات ورموز تسنعمل غالباً تحركات الجماهير في (البازار) السياسي المغلف جيداً بالدين او بالانتماءات الأثنية.. فما المخفي في الحراك الجماهيري الواسع ؟ وهل الجماهير تعرف ولو طرفاً واحداً من المتخفي؟ ..وسائل الاعلام الحزبية والدينية في خطابها اليومي وهي تتحدث عن الفساد تخاطب العواطف , القلب لا العقل , وتعمل على الباس الامر لبوسا غير واقعية انطلاقاً من واحدية الارادة في الفهم الهايدجري , بمعنى اخر ان تذيب الذات قد جاء من تذيب العقل اي التفكير الحر الخارج من كل قيد ,,في معالجة الفساد لم نرتق الى قضية وطنية كبرى... من متابعتنا للخبر الصحفي يتجلى الحضور في الخبر , وقد اخترنا الخبر قبل الرأي الصحفي او المقال بأنواعه فهو اكثر ملامسة لذاكرة المتلقي ولخياله , وولتقط الخبر ونأتي به مثلاً من امثلة عديدة , واخترنا الخبر منشوراً ومتداولاً في عام ٢٠١٢ وفي صحف عراقية عدة ,متعلقاً بفساد اعلن عنه في البنك المركزي ,وظهر بصيغ متعددة , وطبيعة الصياغة اللغوية تشير الى الموقف السياسي الذي يقف وراء الخبر بعد اتضاح مقدماته .

نشرت بعض الصحف , اغلبها تطلق على نفسها صفة مستقل.. اخباراً عن فساد البنك , وهذه الصحف هي الدستور والمدى والبينة والعالم ١١ .

الخبر

تدخل دولي منع اعتقال الشبيبي اثر مطالبته باقالة اربع مدراء بتهم الفساد (الدستور ١٥-١٠-٢٠١٢) بينما اكد مصدر في النزاهة النيابية للدستور صدور مذكرة قبض بحق الشبيبي وعدد من المسؤولين الكبار في البنك , فيما نفى المركزي الانباء التي تحدثت عن صدور مذكرة اعتقال ضد محافظها وهروبه خارج البلاد . كشف مصدر في اللجنة النيابية المكلفة بالتحقيق في عمليات الفساد وغسيل الاموال في البنك المركزي , عن مطالبة محافظ البنك سنان الشبيبي رئيس الوزراء نوري المالكي باقالة اربعة من المسؤولين في البنك متورطين بعمليات فساد وذكر المصدر ان الشبيبي طلب من المالكي قبل ثلاث سنوات اقالة اربعة من المدراء في ادارة البنك المركزي لكونهم مسؤولين عن ما يجري من فساد في البنك ,لكن الاخير رفض الطلب وازاف ان احد قضاة التحقيق اصدر مذكرة القاء قبض على الشبيبي دون معرفة الاسباب لكن حال دون ذلك تحرك من بعثة الامم المتحدة في

العراق والسفارة الامريكية في بغداد , بالاضافة الى تدخل رئاسة الجمهورية وبعض قادة الكتل السياسية ومطالبتهم رئيس مجلس القضاء الاعلى بالتدخل , والذي لم يكن يعرف بامر الاعتقال , وأشار الى ان رئيس مجلس القضاء الاعلى وبعد علمه بالموضوع اصدر امرا بالغاء القاء القبض ووبخ القاضي الذي اصدره , وقرر معاقبته عادا اعتقال محافظ البنك المركزي, بانه يؤثر في سيادة البلد " ١٢ .

يدور الخبر حول قضية واحدة , هي اعتقال محافظ البنك المركزي , بسبب الفساد , والملاحظ ان المصدر الأساسي (مجهل المصدر) وهو ما يضعف الخبر على أهميته , اذ ان المعتاد ان معظم الأخبار المهمة والخطيرة , يكون مصدرها غامضا , واستعمل الخبر فعلا انجازيا هو (أكد) , والأفعال الانجازية ذات دلالة قاطعة , لكنه في سياق الخبر يفقد قدرته الانجازية .. ولنلاحظ الفرق بين زمن الحكي وزمن الخطاب في هذه الصياغة ألغى الزمان أو اتحد [حدهما بالآخر, في صيغة من صيغ الالتباس الدلالي , فالفعل حدث , وصدور المذكورة حدث أيضا , وقد ضعف المصدر (صدر) وهو طالما استعمل في الخطاب , لايجاد مسافة بين زمن الخطاب وزمن الحكي , ولاسيما في العنوان. يقابل الخبر السابق صياغة اخرى في الخبر نفسه , وهو نفي المركزي الأنباء التي تحدثت عن صدور مذكرة اعتقال ضد محافظها وهروبه خارج البلاد .

يلاحظ ان الجريدة صاغت الخبر بالمصدر, نفي وهروب, ولم تستعمل الفعل الانجازي (نفي) لكي يقابل الفعل (أكد) في الاعتقاد, اي الانتقال من الفعل الى المصدر او من الفعلية الى الاسمية, او بتسمية اخرى من الانجاز او القطع الى ما هو ادنى دلالة على المعنى «وبالنظر الى سياق الخبر نجد ان هناك التباسا في صدق المعلومة المتعلقة باصدار مذكرات القبض التي اختلفت المصادر في تأكيدها او نفيها, وسبب ذلك عدم التمييز بين زمن الحكي وزمن الخطاب, اي بين الوقت الذي تم فيه الحصول على معلومة من المصدر, وبين الوقت الذي تم فيه انتاج الخطاب, فالزمن هنا يتحدد منذ الساعات الاولى للعمل وهو زمن مبهم لا يدل على وقت محدد بسبب عدم التمييز بين زمن الحكي وزمن الخطاب, اذ ان الجريدة توزع في اليوم الثاني, لكن المحرر استخدم الزمن المرتبط بالحكي, لذلك نراه في صياغة الخبر عن الفساد يستخدم فعلا ماضيا ناقصا مع الفعل المضارع (كان يجري) ليعود في الفقرة الثانية لاستخدام الفعل الماضي دلالة على الانجاز (صدرت مذكرة القاء القبض) وهذا خلل واضح يؤدي الى ارتباك سياق الجملة بسبب استعمال زمنيين للفعل في وقت واحد» ١٣ .

ان التفريق بين الزمنين هو اساس من اساس السرد , فالحكي قصة توجد في زمانها القديم او الجديد , اما الصياغة ونقصد الخطاب فهو الجديد, وقد يسمى بعض الدارسين هذا الزمن بالزمن البنيوي.. وقد يغيب هذان الزمان عن محرر الخبر, ولطالما

شدد الدارسون على ان الخبر يمكن أن يقع في اطار السرد، ولعل المعلومات التي اوردتها الصحف لاسيما الدستور و المدى يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

١. اعتقال او عدم اعتقال سنان الشبيبي.
 ٢. مذكرة اعتقال صدرت او لم تصدر وكلا الامرين متعادلان.
 ٣. تحميل الحكومة مسؤولية التحقيق في عمليات غسيل الاموال، وكشف المستفيد منها .
 ٤. رئيس الوزراء لم يتجاوب مع مذكرة سنان الشبيبي لابعاد الفاسدين.
 ٥. الهيئات المستقلة عرضة للفساد بسبب التعيين بالوكالة.
- عدد كبير من الافعال الانجازية حققت تلك الابعاد نذكر منها: اكد، نفى، طلب، اصدر، وتكون الثنائيات على الشكل الآتي:

اكّد * لم يؤكّد

طلب * نفى ، لان الطلب قبول

والافعال لها قوة الحضور في الخبر خاصة اذا كانت افعالا ماضية فهل حققت حضورا مساويا في ذاكرة المخاطب؟ لابد من الاشارة الى المتخفي في الخطاب الاخباري، فالجملة الآتية تقول وقد اخذت من جريدة المدى «التحقيقات اثبتت وجود بيع للعملة الصعبة لبنوك وشركات محددة بحد ذاتها، والتي قامت بتهريبها الى الدول المجاورة»^{١٣}. في الجملة السابقة جملة مواضع اهمها الفعل الانجازي اثبتت وهو خبر يكاد يصدّم الواقع لاطلاقه كلمة اثبتت التحقيقات، اي ان الحكومة او مجلس النواب هو من قام بالتحقيق، ولكن سرعان ما يفقد الخبر زخمه التنويري ان صحت التسمية ويلبس على القارئ والسامع الامر، فالبنوك والشركات المحددة لا يستطيع احد ان يعرفها، وان هذا التخفي يضيع الفعل الانجازي للخبر، وهو ليس من صنع الجريدة، الجريدة نقلته من مصدر وهو مصدر مجهل.. ثم يأتي الفعل الثاني قام، اي ان هذه الشركات غارقة في المخالفات وتهرب العملة الى الخارج. واذا كان التجلي واضحا في الخبر فان الخفاء هو حجم الثروة المهدورة .. ثم من من الدول المجاورة تتعامل مع الفاسدين؟ والاكثر خفاءا هو الحكومة التي تعرف او لا تعرف وكلا الامرين يصعب السكوت عليه.

واذ تأكد في الاخبار ان لجنة النزاهة النيابية هي التي حققت، يترك المجال واسعا

للتأويل بين ان تقوم الحكومة بالتحقيق او ان الامر مرتبط بغيرها. وكان عليها ان تسارع لفتح تحقيق قبل اي جهة اخرى لان الموضوع اخطر من ان يترك الى جهة ثانية وان كانت قريبة وهي مجلس النواب.

واذا اردنا ان نبين القدر الكافي من التحليل ، وفق ما قاله وفعله (فريق انترافون) السيميائي ، يكون التحليل على الشكل الآتي .

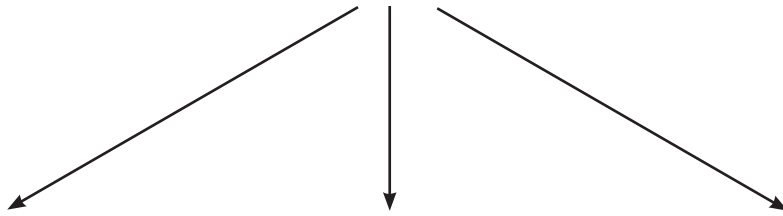
البنية السطحية

يتصدرها التناقض بين الافعال الانجازية ، وهي افعال خطابية مهمة ، وقد اظهرت هذه الافعال حجم الهوة التي جمعت بين القائلين بالاعتقال والنافين لذلك ، ويمكن ترتيب ذلك بالشكل الاتي :

اكذ ، نفى ، اكد ، قال ، نفى .

وهي افعال جعلت البنية السطحية للخبر تبدو وكأنها متناقضة ومشتتة .

البنية السطحية



لا فساد

فساد اكيد

فساد محتمل

هذه المتضادات قادت اليها الالفاظ وهي رموز تشير الى متضاداتها، وتكون الثنائيات على الشكل الاتي :

١. الفساد : ← السلطة ← الاعلام

٢. الرمز : ← الناس ← الفقر (البطالة)

السلسلة التي تفرعت من لفظ فساد ، قادت الى التأويلات الكثيرة ، فالفساد رمز على وفق جارلس بيرس ، ثم على وفق تعييناته التي اضاف اليها السيميائيون فيما بعد اضافات مهمة .

البنية العميقة

نعود الى السؤال الاساسي الذي طرحناه سابقا لماذا لم يتغير شئ من عام ٢٠١٢ الى عام ٢٠١٦، فما زالت الاخبار قريبة جدا من ذلك العام على الرغم من انها اخذت طابعا خطيرا بسبب الازمة المالية والسؤال لماذا فشلت الاخبار في الوعي الممكن؟ هل السبب في الصياغة الخطائية ام السبب هو المسكوت عنه الذي يقلل من اهميتها؟ وقد يقضي على حالة التجلي، والمسكوت عنه هو الانقسام السياسي والطائفي والاثني او هو جملة من الانقسامات في الزعامات.

أو هو اشكالية الانشغال لشرائح واسعة من الناس يسدون نزوعهم نحو التغيير باسحاء الوقت فيما لا فائدة منه.

وهم بحاجة الى داع يدعوهم او زعيم يقودهم او ان السبب هو عدم شفافية الاعلام التي ستظل مرافقة له مادامت الوسائل تخضع لاحزاب ومؤسسات حكومية وتمويل خارجي.

وإذا كان تغييب الوعي، بقضايا الفساد مقصودا يدل عليه تصريح محافظ البنك المركزي الذي يقول فيه: لا نستطيع الغاء مزاد العملة لان الدولة بحاجة الى النقد الوطني، وهو سبب دونه كل الاسباب كما يقال، اذا كان هذا سببا فأني تجهيل هذا الذي يسود؟.

ان تغيير خطاب الصحافة ولاسيما (المستقلة) ودعمها سوف يسهم في خلق رأي عام طارد للفساد..

ولكن هل حقا سيسهم في اصلاح طال انتظاره وفساد طال امده ام ان ما يحدث لا يعدو ان يكون حلقة من حلقات الوعي السائد وجولة من جولات صناعة الالم وتضييع ما تبقى. وان اخذت الجماهير المبادرة، فان جل حركتها في اطار هذا الوعي .

التحليل السيميائي والتحليل الخطابى

من الاسئلة المهمة التي تتداول ، هل التحليل السيميائي هو نفسه التحليل الخطابى ام ان هناك مسافة بين التحليلين ؟، وهل يمكن فصل التحليل على مستوى الخطاب من التحليل على مستوى السيمياء ؟ اسئلة افتراضية وقد يكون الجواب عن ذلك بدهيا ، ان كل خطاب لابد ان يحيل على مستويين تحليل خطابي وتحليل سيميائي ، واحدهما يستمد وجوده وقوته من الاخر ، في التحليل اللساني الذي يجمع بين التحليلين نتوقف عند مصطلحين مهمين يعدان الاساس لهذا التحليل وهما :

شكل التعبير

وشكل المضمون

وهذه الثنائية مطلوبة في كل تحليل لساني اذ ان شكل التعبير يتعلق بالدراسات الصوتية ، او صوت الفونيم ، اذ ان كيفية نطق الحرف سيؤدي الى معرفة الجهة التي تنطق به ، لان الحروف مجال مشترك لكل القوميات .

وسنجد ان خاصية معينة في نطق الحرف عند بعض الامم تختلف عن الامم الاخرى ، وان كان الحرف واحدا اي النمط الكتابي له (شكل الحرف) والذي يقع فيه الاختلاف هو طريقة النطق .

اما شكل المضمون فهو العوامل العاطفية والتخييلية التي يظهرها النص فمثل قول المتنبي □ كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن أمانيا

فما يثيره البيت السابق من عاطفة تتعلق بالأسى والحيرة والاضطراب فهذا هو شكل المعنى ، التحليل اللساني يقوم على هذا الشكل وليس المعنى ، يقول يا مسلاف « ان الشكل والمادة مترابطان ، ولا يمكن اظهار احدهما دون الاخر ، وهما ينتميان الى اللسانيات وفق المفهوم الذي يعطيه هو لهذا العلم ، انهما قابلان للتحليل بما انهما يحتويان على شكل وهما نتاج شبكة من العلاقات ، انما المعنى لا ينتمي الى مجال اللسانيات لانه غير قابل للتحليل وعلينا ان نطرق الى معنى التعبير ومعنى المضمون بشكل مختلف » ١٦ .

ومن اجل الوضوح نقول : "ان التحليل السيميائي يركز على جانبيين :

الأول الرمزية والدلالات

والثاني ربط النص بالواقع

ولكن ليس ضرورة ان يقتضي ذلك التطبيق الدقيق على اشخاص بعينهم , أو أماكن بعينها , أو قضية سياسية أو فكرية بعينها» , ١٧ .

إذا كان الفكر المعاصر يفيد كثيرا من التراكم المعرفي ، فإن ما اشاعه الشكلاونيون الروس من منهج علمي موضوعي قد اثر فيما بعد في مناهج قراءة النص وتحليله ، ولعل السيميائية التي اقترنت في بداياتها بالنبوية ، قد اخذت من هذا المنهل بعض اطروحاته المهمة . وإذا كان الاتصال بين الاثنين اساسيا فان التحليل لايتوجه الى ماذا نقول بل كيف نقول وهذا عين ما سعت اليه النبوية وهو ماتسعى اليه السيميائية ايضا على الرغم من الاختلاف الواضح بينهما ، كيف يتضمن شكل المضمون وليس المضمون او هو يتضمن شكل المعنى وليس المعنى وعلى هذا فان الامر مادام مرتبطا بالشكل فهو لايد ان يكون محايثا , اي ان الداخل لا يحيل الى مرجع خارجي او نظام اخر يستمد منه آلية الفهم

والمحايشة مجال مشترك بين النبوية والسيميائية او بالاصح بين اللسانيات والسيميائية . لكن بعض اتجاهات السيميائية تربط النص بالواقع كما أسلفنا , وهو جزء من خارجيات النص .

لكن هذا لا يؤخذ على اطلاقه , فالفاصل بين النبوية والسيميائية يمكن ان نصل اليه من تعريف دوسوسير للعلامة او للسيمياء «دراسة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية» ١٨ , وهذا ما جعل السيميائية ذات علاقة بالخارج فدخلت مناهج التأويل والتفسير واصبحت التأويلية اساسا من اساس القراءات السيميائية على وفق ما اوضح ذلك من بعد امبرتو ايكو في كتابه : السيمياء والتأويل ، واذ تتداخل السيمولوجيا مع النبوية ستجد لها مكانا مميزا عنها ، لو كان التحليل البنيوي هو عينه التحليل السيميائي ، لما كان هناك شئ مهم يقال ..

وان اجماع الباحثين على ان التحليل السيميائي هو تحليل بنيوي هو للاشارة الى النظام والنسق والعلاقة والبنية السطحية والبنية العميقة ، وهي من متداولات النبوية وكذلك العناية بالتحليل العلمي للنصوص وقياس نتائج هذا التحليل ، كما فعل بروب في تحليل

الحكايات الروسية , او كما وضع كريماس اتجاها خاصا في السيميائية يطلق عليه الاتجاه الكريماسي الذي تحول فيما بعد الى تحليل المربع السيميائي .

ان جانبا من التحليل السيميائي هو تحليل خطابي وهذا ما نعني به هنا «فالتحليل السيميائي في النهاية هو تحليل للخطاب وهذا هو ما يميز السيميائية النصية عن اللسانيات البنوية (الجملية) ، فبينما تهتم اللسانيات ببناء وانتاج الجمل او بالكفاءة الجملية تهدف السيميائية الى بناء التنظيم وانتاج خطابات ونصوص او تهدف الى الكفاءة الخطابية » ١٩ ولا بد في هذا الاطار من الاشارة الى مبادئ التحليل ومسلّماته وهو التحليل البنيوي وتحليل الخطاب ، ولا بد من الاشارة ايضا الى مستويات التحليل اي المستوى السطحي والمستوى العميق (المحاith) ، ولعل هذا يحدث عددا من الاشكالات مرة اخرى لان التحليل المحاith لابد ان يكون تحليلا بنويا بمعنى ان ابعاد البنوية عن التحليل السيميائي ياتي في اطار النسب او نسبية التحليل ، وليس في اطار مغلق.

يعني هذا ان في كل تحليل لابد من محاithة وهي تعني :

١ . شبكة من العلاقات التي تقيم تصنيفا لقيم المعنى ، حسب العلاقات المعقدة بينهما .

٢ . نسق عمليات ينظم الانتقال من قيمة الى اخرى .

ولسوف ننظر الان الى قيمة التحليل في نصوص اعلامية اخرى , مبتعدين عن النصوص الادبية التي عادة ما يتوجه اليها التحليل .

الثنائية الضدية في العتبات النصية

العنوان من اهم العوامل التي لها علاقة وثيقة بالنص ، وهو باب الدخول الى المعنى ، وقد اهتمت السيميائية بشكل خاص بالعتبات النصية ، التي يطلق عليها احيانا بالمناص ، يقول رولان بارت « العنوان هو نظام دلالي سيميولوجي يحمل في طياته ، قيما اخلاقية واجتماعية وايدولوجية» ٢٠ .

العنوان المختار نشر في جريدة الدستور العراقية وهو كما يأتي :

خبراء : بروفة تحرير الموصل :
 اقتحام تحصينات داعش
 جهاز مكافحة الارهاب يطوق المجمع الحكومي
 تأكيدات المعلق البريطاني : ديفيد بليير :
 هروب داعش ، تحصيناته تتساقط

شكل التعبير

المصدر : خبراء .. مصدر مجهول (من هم) .

الإقتحام : المصدر ، موصوف (الناجح)

(بروفة) : كلمة اخذت من سياق مختلف غير عربي .

(تحرير) .. مصدر الفعل حرر وتستعمل المصادر كثيرا في العنونات .

شكل التعبير ، ق (اقتحام) ، ب (بروفة) ، ت (تحرير)

تحصينات داعش تتساقط

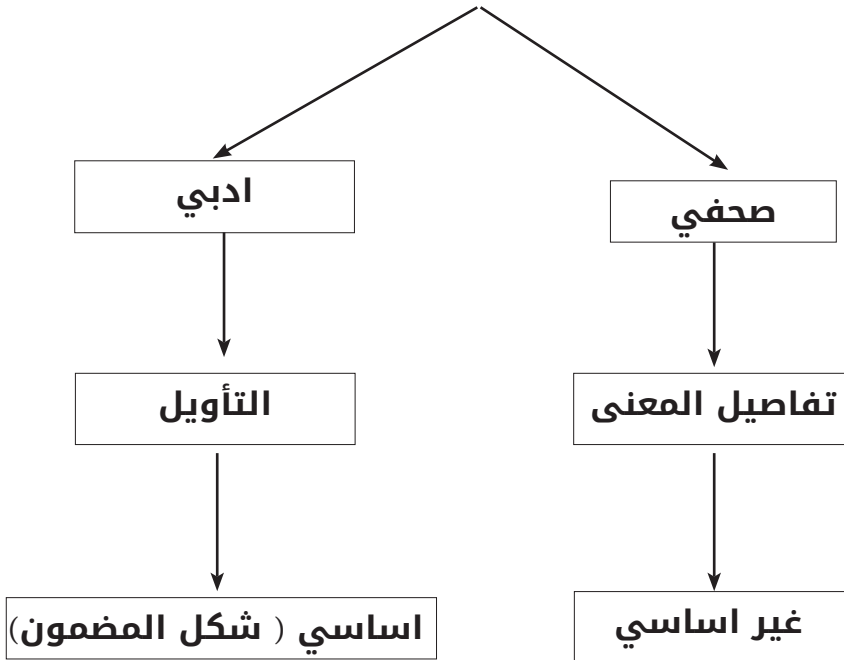
فعل مضارع يدل على تتالي السقوط ، لكن السقوط تدريجي (فعل من افعال المطاوعة) .

والفرق كبير بين تحصينات داعش سقطت

تحصينات داعش تتساقط ، اي ان الحرب مازالت مستمرة ، واستعمل المحرر فعلا انجازيا وهو (هرب) ، فالتساقط لا بد ان يؤدي الى الهرب .

وقد شكلت الافعال والمصادر باب الدخول الى الخبر ، وعلى اختلاف بين الصحافة والادب ، فان العنوان في الادب لا بد ان يقود الى القراءة ، الدخول في النص . اما العنوان في الصحافة ، لا يدعو ضرورة الى قراءة النص ، وقد يكتفى به ، هذا الفرق جعل العتبات النصية تنطبق على النص الادبي بشكل خاص وليس على النص الاعلامي ، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الاتي :

العنوان : عتبة نصية :



(الخبر يعرف من عنوانه)

وعلى الرغم من ذلك فإن التأويلية ستدخل في الصورة الصحفية ، وتدخل احيانا في الخبر اذا كان مطولا ، او اذا كان قصة خبرية ، ولكنه يختلف عن التأويل الادبي ، لان التأويل الادبي يتعلق بطبيعة النصوص الادبية ، التي هي نصوص تتسم بالانحراف والابتعاد عن اللغة المعيارية .

شكل التعبير

الافعال الانجازية قال ، اكد ، اكد ، اكد

أكد المعلق البريطاني (ديفيد بليير) مصدر غير مجهل ، بينما الجمل السابقة بجمل مجهلة ، ثم أكدت قيادة العمليات المشتركة ، فعل انجازي غير مجهل ، وتفصيل للبيان بالاداة ثم ، صياغة الخبر تمثلت بالعاطفة الوطنية التي يمكن وصفها بالاتي:

انتصار الجيش

هروب داعش

تحرير الموصل

هزيمة داعش النهائية

الصورة

جهاز مكافحة الارهاب يطوق المجمع الحكومي ، الجهاز هو رأس التقدم ، وجنوده هم اول من بادر الى ذلك ، الصورة اللفظية تساوقت مع الصورة الصحفية لجندي عراقي من الجهاز .
الافعال دفعت باتجاه تشكيل هذه البنية المحايثة ، فالمعارك لم تنته بعد (مازال الامر مبكرا على نهايتها) .

الانجاز : هزيمة داعش (لم يهزم نهائيا : بنية عميقة)

ويظهر من العنوان سير التدلالات وطرق التأويل ، معارك قوية ، معارك طاحنة ، معارك فيها خسائر كثيرة ، تدمير البنية التحتية .. ويمكن تصور البنية العميقة ، اذ وردت ساحات الاعتصام في اخر الخبر ، ثم ساحة ابو فراج قبلها دالان يرتبط احدهما بالآخر .

هزيمة داعش — هزيمة لساحات الاعتصام ، اختلاط الاحتجاج مع القصد السياسي ، شريط الاعتصامات التي ربما كانت تتناغم مع داعش ، في الاقل في ثوابت الحكومة ، وتكون البنية العميقة مرة اخرى على الشكل الاتي :

عاد X لم يعد .. انهزم X لم ينهزم .. هرب X لم يهرب

بين هذه المتقابلات يسير شكل التدلالات او ما يطلق عليه بالسيموزيس .. وبين التقابلات والمتضادات فأن الوصول الى اهداف داعش وانهاء حلمه بات وشيكا . مازالت البنية العميقة تشكل تأويلات قد تنتهي او لا تنتهي .

وعادة ما يقف التأويل عند الاتي :

الموصل هي بؤرة الحل ، وليس الرمادي ، واذا وضعنا العشائر في التحليل ورمزنا لهم بالاسود والابيض ، يكون كالاتي :

الابيض (فعل ايجابي) - الاسود (فعل سلبي)

ابيض - لا ابيض

اسود - لا اسود

بين المتقابلين يترجح فعل العشائر بين قبول الواقع الجديد او لا ، ففي كل تقابل يقف تقابل اخر ، وفي كل فعل يقف فعل اخر .

تفسير ما سبق

لابد من وقفه لما عرضناه سابقا ، وكنا نتحدث في قضيتين اجرينا عليهما التحليل ، هما الفساد والحرب ، وهما ثنائية مجترحة بمعنى انها مولدة من الحدث على الرغم من قدمها ، فهما متلازمان ولاسيما في الحروب الحديثة .. اذا ان اسرار الحروب التي تظهر فيما بعد تكشف هذا المنزع الخطير في الحياة البشرية ، والمجتمعات التي تجنبت الحروب هي مجتمعات يقل فيها الفساد او يندم ، بالضد من مجتمعاتنا العربية والاسلامية .

ان الذي اسند رؤيتنا تلك هو مربع غريماس في بعض تفاصيله الاساسية ، فالمربع في الاعلى يعني تقابلا ثنائيا مثل :

اسود / ابيض او فساد / اصلاح .

وفي اسفل المربع يقع التضاد وهو شكل من اشكال التناقض مثل :

اسود / لا اسود ، فساد / لا فساد ..

والتعبير اللغوي في الثنائية الغريماسية له دلالة مهمة فهو ينقلنا من التقابل الى التناقض او من التقابل الى التضاد ، ويجري التحليل على اساس اسفل المربع .

ان العالم الذي نعيش منذ ان وجد الانسان كان يشهد الصراع بين الالهة والبشر ، في فجر التاريخ وفي فصوله المهمة ، وحين تمنى بعض المؤرخين الغاء هذه الثنائية حين قالوا: ليت الصراع يفنى بين الالهة والبشر ، فان مثل هذا التمني غير ممكن ابدا لانه يناقض اساس الوجود ، لكن هذه الثنائية لم تستمر على مدى التاريخ ، فلقد تحول الصراع ولم ينته ، اصبحت ثنائية الالهة البشر تقابلها ثنائية (البشر ، البشر) فقد ازيل شكل الصراع وحلت محله ثنائية غريبة كما تبدو ، ولكن في صلب هذه الثنائية الجديدة لم تكن الالهة بعيدة .. انها تغذي طرفي الصراع وكأن الثنائية القديمة ، عادت جديدة بثوب آخر وبمنطق جديد .

السيمائية تنظر الى العالم من الخارج على انه غارق في الفوضى واللا نظام ، ولا يتحقق نظامه الا في داخل تنتظم فيه بنيات المجتمع ، ولكن حتى هذا الداخل المنتظم

يصنع لا نظامه مرة اخرى ، اذ لا يمكن ان نبقى على حال واحدة ، فاللا نظام يقبع في صلب النظام ، اما المتغير فهو ان البشر يرصدون لانظامهم هذا ، ويحاولون ايجاد تفسير ما يقلل الضرر من اجتماع التناقض والتضاد على مستوى التاريخ .

في السرد الروائي منذ الف ليلة وليلة وسيرفانتس ، الصراع على اشده بين النظام والواقع ، لكنه في بعض انواع السرد القديم ، يتحول الى صراع بين الوهم والواقع دونكيشوت والواقع ، الذي يتجلى في عدة مظاهر مثل طواحين الهواء التي يصارعها دونكيشوت ظنا منه انها شياطين ، وهي التي تجلب البؤس للناس وقد خرج هو وتابعه سنشو بسذاجته القروية وحسه البسيط وايمانه المطلق بماضي الفروسية ، خرج لكي يقضي على الشر متقلدا سيفه وراكبا حصانه .

في تحليلنا السابق لثنائيتي الفساد والحرب ، وقد التقطناها من الصحافة المحلية ، اقتربنا من صنع تضاد جديد ، الذي سوغ لنا دراسة من هذا النوع هو التصور السيميائي وسير التدلالات فيه ، فقد كنا اقرب الى النظرية التمهيلية التي تنظر الى اي خطاب مهما كان نوعه او جنسه على انه نص يقبل التشكيل في تمفصلين كبيرين ، اصطلح على الاول بالتمفصل الاول واصطلح على الثاني بالتمفصل الثاني ، يدرك بالتحديد اللساني في التشكل الاول الوحدات الدالة ، وهي وحدات صوتيه ، تقبل التجزئة الى اقل منها ، ويدرك في التشكل الثاني الوحدات الصوتية المميزه وائتلافها يعطي التمهيل الثاني ٢١ .

ومن الوحدات الدالة في التمهيل السابق اوجدنا تقابلا وتضادا في ثنائية (الفساد / الحرب) واستبدلنا بالثنائية السابقة (الفساد/الاصلاح) ثنائية جديدة يشملها التقابل والتناقض ، انها ثنائية اخرجتها نتائج البحث ، (الفساد يصبح لا فساد والحرب لا حرب) ، وفي اطار النفي يتحقق الفعل الانساني المطلوب ، اي ان نفي الفساد هو نفي الحرب ، وهذا ما ذكرناه سابقا ، من ان التحليل السيميائي يربط النص بالواقع ، وهو عين ما توصلنا اليه من نتائج .

الهوامش :

١. هنترمييه . الفلسفة انواعها ومشكلاتها ، ترجمة دكتور فؤاد زكريا ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة - نيويورك ، يناير ١٩٦٩ ص ٢٣٥ .
٢. مجموعة من النقاد ، اتجاهات في النقد الادبي الحديث ، ترجمة د.محمد درويش ، دار المأمون ، ط١ بغداد ٢٠٠٩ ص ٢٣٤ .
٣. افلاطون ، الجمهورية ، نقلها الى العربية من الترجمات الانكليزية حنا خباز ، هدية المقتطف السنوية ، مطبعة المقتطف والمقطم . القاهرة ١٩٢٩ ص ٥٠ .
٤. د. هورست كلنغل ، حمورابي ملك بابل وعصره . ترجمة د. غازي شريف ، دار الشؤون الثقافية العامة . ط١ ٢٠١٢ ص ١٣٣ .
٥. عبد الرحمن بدوي ، ارتور شوبنهاور ، دار النهضة العربية - القاهرة ط٣ ، ١٩٦٥ ص ٣٠ .
٦. لاتل
٧. ييليب
٨. ليب
٩. نزار عبد الغفار السامرائي ، الخطاب الصحفي وتجهيل مصادر الاخبار ، دار ضفاف للطباعة والنشر . ص ٩٢ .
١٠. عبد الرحمن بدوي ، مصدر سابق ص ٢٠٠ .
١١. نزار عبد الغفار السامرائي ، سابق ص ٩٧ .
١٢. المصدر نفسه ص ١٠١ .
١٣. المصدر نفسه ص ١٠٣ .
١٤. المصدر نفسه ص ١٠٥ .
١٥. فريق انتروفن ، مجموعة من السيميائيين اصدروا التحليل السيميائي في النصوص ، ترجمة حبيبة جريز ، والكتاب فيه الكثير من التطبيقات السيميائية .
١٦. لويس ترول يامسلاف ، فريق انتروفن ، المصدر نفسه ص ١٣ .
١٧. ملتقى رابطة الواحة الثقافية - النقد التطبيقي والدراسات النقدية . www.rabitat-alwaha.net
١٨. جورج موان ، معجم اللسانيات ترجمة جمال الحضري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ٢٠١٢ ص ٢٥٤ .
- ١٩.
٢٠. ملتقى رابطة الواحة الثقافية - مصدر سابق .
٢١. دفة بلقاسم ، التحليل السيميائي للخطاب السردي / lab.univ-biskra.dz/IIa/images/daffa.pdf/pdt/sem3